# الباب الثالث

في بيان ما كان عليه وَضْعُ المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما أُحْدث فيه من التوسيع والزيادة في زمن خلافة سيّدنا امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه وزمن خلافة سيّدنا امير المومنين عثمان ابن عفّان رضه وزمن سيّدنا عبد الله بن الزبير رضه وهدم عبد الله ابن الزبير بناءَ قريش للكعبة واعادتها علي قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجّاج جانب الحِجْر والميزاب من الكعبة واعادتها علي ما بَنَتْه قريش في زمن النبيّ صلعم قبل مبعثه الشريف ٠

اعلم ان الكعبة الشريفة لمّا بناها سيّدنا ابراهيم الخليل عم لم يكن حولها دار ولا جدار واستمرّت كذلك في ايام العمالقة وجُرْهُم وخُزاعة لا يستجرى احدٌ ان يبنى بمكة دارًا ولا جدارًا احترامًا للكعبة الشريفة ٠ فلمّا آل امرُ البيت الى قُصَيّ بن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدّم ببيانه جمع قُصَيٌّ قومه وامرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتًا من جهاتها الاربع وكانوا يُعظمون الكعبة ان يبنوا حولها ببيوتًا او يدخلوا الى مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارًا فاذا أَمْسَوْا خرجوا الى الحلّ فقال لهم قُصَيٌّ ان سكنتم حول البيت هابَتْكم الناس ولم تستحلّ قتالكم والهجوم عليكم ٠ وبَدَأَ هو وبنا دار النَّدْوَة من الجانب الشامى كما تقدّم ببيانه ويقال انها محلّ مقام الحنفيّة الذى يُصَلّى فيه الآن الامام الحنفيّ الصلوات الخمس ٠ وقسم قُصَيٌّ باقى الجهات بين قبايل قريش فبنوا دُورَهم وشرّعوا ابوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطايفين مقدار المطاف بحيث يقال انه القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف الآن وجعلوا بين كلّ داريْن من

دورهم مسلكًا شارعًا فيه باب يُسلك منه الى بيت الله تعالى ، ثم كثرت البيوت واتّصلت الى زمن النبيّ صلعم فوُلِدَ عليه افضل الصلوة والسلام على اشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحلّ المسمّى الآن بشعب عَلِيّ وكان يسكن دار سيّدة النساء أمّ المومنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ، ثم لمّا ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمرّ الحال على هذا الوضع فى زمن النبى صلعم وزمان خليفته سيّدنا ابى بكر الصدّيق ولمّا زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن امير المومنين عمر الفاروق رضه فراى ان يزيد المسجد الحرام فاوّل زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضه فنَبْدَأُ بذكرها فنقول روينا بالسند المتّصل المذكور سابقًا فى المقدّمة عن الامام ابى الوليد الازرقى قال اخبرنى جدّى قال اخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جُرَيْج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدرات تُحيط به وانّما كانت دور قريش تُحدقة به من كلّ جانب غير ان بين الدور ابوابًا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام ، فلمّا كان زمان امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دُورًا حول المسجد وهدمها وادخلها فى المسجد وقد بقيت دور احتيج الى ادخالها ايضًا فى المسجد فأتى اصحابها من بَيْعها فقال لهم عمر رضه انتم نزلتم بفناء الكعبة وبنيتم به دورًا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة فى سُوحكم وفنائكم فقُوِّمت الدور ووُضِعَ ثمنها فى جوف الكعبة ثم هُدِمت وأُدخلت فى المسجد ثم طلب اصحابها الثمن فسُلِّم اليهم ذلك ، وامر ببناء جدار قصير احاط بالمسجد وجعل فيه ابوابًا كما كانت بين الدور قبل ان تُهْدَم جعلها فى محاذاة الابواب السابقة ، فلمّا كثر الناس فى زمان امير المومنين عثمان رضه امر

بتوسيع المسجد، واشترى دورًا حول المسجد هدمها وادخلها فى المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر رضه وهدم دورهم وادخلها فى المسجد فصيح اصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال لهم انما جرأكم علىّ حلمى عليكم الم يفعل بكم ذلك عمر رضه فلا صيح به احدٌ ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فصبرتم منى وصحتم علىّ، ثم امر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم، ولم يذكر الازرقى رحمه الله تعالى متى كانت زيادة امير المومنين عمر بن الخطاب رضه ولا زيادة امير المومنين عثمان رضه وذكر ابن جرير الطبرى وابن الاثير الجزرى فى تاريخهما ان زيادة امير المومنين عمر بن الخطاب رضه كانت فى سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة امير المومنين عثمان بن عفان رضه كانت فى سنة ٢٦ من الهجرة، اقول زيادة امير المومنين عمر بن الخطاب رضه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم فى سنة ١٧ من الهجرة وتخريبه مقام الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل أم نهشل، قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقى محمد بن فهد الهاشمى العلوى رحمه الله تعالى فى كتاب اتحاف الورى بأخبار أم القرى فى حوادث سنة ١٧ فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من اعلا مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعفى مكانه الذى كان فيه لما عفاه السيل فأتى به وربط بلصق الكعبة فى وجهها وذهب السيل بأم نهشل بنت عبيدة ابن سعيد بن العاصى بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فماتت فيه واستخرجت باسفل مكة وكان سيلاً هائلاً

فكُتِبَ بذلك الى امير المومنين عمر بن الخطّاب وهو بالمدينة الشريفة فأجابه ذلك وركب فزعًا مروعًا الى مكة فدخلها بعُمرة فى شهر رمضان فلمّا وصل الى مكة وقف على حجر المقام وهو مُلْصَق بالبيت الشريف فتَهَوَّل من ذلك ثم قال أَنْشُدُ اللهَ عبدًا عنده علمٌ من هذا المقام فقال المطلب ابن ابى وَدَاعة السَّهْمى رضه انا يا امير المومنين عندى علمٌ بذلك فقد كنت اخشى عليه مثل هذا الامر فاخذتُ قدرَهُ من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بِقاط وهى عندى فى البيت فقال له عمر رضه أجلس عندى وارسل اليها من ياتى بها فجلس عنده وارسل اليهما فاتى بها فقيّس بها ووضع حجر المقام فى هذا الحلّ يعنى الذى هو فيه الآن واحكم ذلك وأستمرّ الى الآن ٭ قال وفيها وسّع امير المومنين عمر رضه المسجد الحرام بدُور اشتراها وهدمها وادخلها المسجد وذكر ما قدمناه آنفًا ٭ قال وفيها عمل امير المومنين عمر رضه الرَّدْمَ الذى باعلا مكة صَوْنًا للمسجد بناه بالصفاير والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يَعْلُه سَيْلٌ بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم فى سنة ٢٠٢ فكشف عن بعض احجاره وشوهدت فيه صخار كثيرة عظيمة لم يُرَ مثلها ٭ والأقدمون يسمّون هذا الرَّدْم رَدْم بنى جُمَحَ بضمّ الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جُمَح بن عمرو بن لُؤَىّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك ٭ اقول المراد بهذا الردم الموضع الذى يقال له الآن المُدَّعَى وهو مكان كان يُرَى منه البيتُ الشريف اول ما يُرَى وكان الناس خصوصًا حين يَرِدُ الحجّ من ثنيّة كَدَا وهى الحجون اذا وصلوا ذلك الحلّ شاهدوا منه البيت الشريف والدُّعآء مستجابٌ عند رويّة بيت الله تعالى وكانوا يَقِفُون هنالك للدُّعآء وامّا الآن فقد حالت الابنية

عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يَقِفُ الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المُدَّعَى ، وقال مولانا القاضي جمال الدين محمد ابو البقاء ابن الضياء الحَنَفِيُّ في كتابه البحر العميق في مناسك الحجّ الى بيت الله العتيق انه كان يُرَى في زمنه راسُ الكعبة لا كلُّها من راس الردم يعني المدعى فاذا ظهر له يقف ويدعو ويسال الله تعالى حوايجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية الكعبة الشريفة انتهى ، ونقل حافظ الدين النَّسَفي في المنافع عن صاحب الهداية رحمهما الله انه استوصى عن شيخ له سمّاه فقال له اذا وصلتَ سوق كَدَا ورايتَ الكعبة فادْعُ الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعاء لمن قال ان من رآها اوّلاً ودعى كانت دعوتُه مستجابة انتهى ، وكان القاضي ابو البقاء ابن الضياء المذكور في اواسط المايه التاسعة وفاتُه في سنة ٨٥٢ ولا شكّ ان من عهد الصحابة رضى الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا اعلم هل وقف النبيُّ صلعم فيه ام كان ذلك المحلّ غير مرتفع في عهده صلعم وما رفعه الاّ سيّدنا عمر رضه بالردم الذي بناه فارتفع الارض وصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه وبالجملة فالآن لا يُرَى البيت الشريف منه ولكنّي انظر في جميع عُمري في المُدَّعَى يقف فيه فاللايقُ استمرارُ وقوف الناس بهذا المحلّ الشريف والدعاء فيه تبرُّكاً بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى اعلم ، ولمّا رُدِمَ هذا المكان صار السبيل اذا وصل من اعلا مكة لا يَعْلُو هذا المكان بل كان ينحرف عنه الى جهة الشمال المستقبل البيت الشريف للبناء الذي بناه عمر رضه فلا يصل هذا السبيل الى المَسْعَى ولا الى باب السلام الى الآن

وصارت هذه الجهة من يومئذ الى اثناء هذا مرتفعة عن ممرّ السيل وصار السيل الكبير كلّه يحدر الى جهة سوق الليل ويمرّ بالجانب الجنوبيّ من المسجد الى ان يخرج من اسفل مكة وهذا السيل سَيْلُ وادى ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى اسفل مكة سيل آخر يعترضه يُسمّى سيل ابراهيم يجتمع من الجهات لله فى جنوب مكة وينْصَبّ من محلّة اجياد ويمرّ عرضًا الى ان يَصْدِم الركن اليمانى من المسجد وينحرف الى اسفل مكة وقوّة جريانه تمنع من جريان سيل وادى ابراهيم فيقف وينزاكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة فى كلّ عشرة اعوام تقريبًا مرّة فتدخُل المسجد الحرام ويحتاج الى التنظيف وتبديل الحصا ونحو ذلك وقد عمل المتقدّمون والمتأخّرون لذلك طُرُقًا واهتمّوا غاية الاهتمام فاندثرت اعمالُها بطول الزمان ولم تَفْطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرّت السيول العظيمة بعد كلّ مُدّة تدخل الى المسجد ولْنَا الآن بصدد شرح ذلك ☆

وامّا زيادة امير المومنين عثمان رضه فى المسجد الحرام فقد ذكرها الامام ابو زكريا النّواوى نقلًا عن ابى الوليد الازرقى والامام اقضى القضاة الماوَرْدى فى كتابه الاحكام السلطانية وغيرهما من الائمّة المعتمدين رحمهم الله وفى كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا امّا المسجد الحرام فكان فِناءً حول الكعبة وفَضاءً للطايفين ولم يكن له على عهد النبى صلعم وابى بكر رضه جدرٌ يحيط به وكانت الدور محدقة به وبين الدور ابواب تدخل الناس من كلّ ناحية ، فلمّا استخلف عمر بن الخطّاب رضه وكثر الناس وسّع المسجد واشترى دُورًا وهدمها وزادها فيه واتّخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه وكان عمر رضه اول

من اتّخذ الجدار للمسجد الحرام ، فلمّا استخلف عثمان رضه ابتاع منازل ووسّعه بها ايضًا وبنى المسجد الحرام والاروقة فكان عثمان رضه اول من اتّخذ للمسجد الاروقة انتهى ، قال الحافظ النجم عمر ابن فهد في تاريخه في حوادث سنة ٣٦ فيها اعتمر امير المومنين عثمان بن عفّان رضه من المدينة فاتى ليلاً فدخلها وطاف وسعى وامر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه قال وجدّد انصاب الحرم وكلّم اهل مكة عثمان رضه ان يحوّل الساحل من الشُّعَيْبية وهي ساحل مكة قديمًا في الجاهلية في ساحلها اليوم وهي جُدَّةُ لقربها من مكة فخرج عثمان رضه الى جُدَّة وراى موضعها وامر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه أَدْخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله احدٌ الا بمِئْزَرٍ ثم خرج من جدّة على طريق عُسْفان الى المدينة وترك الناسُ ساحل الشُّعَيْبية في ذلك الزمان واستمرّتْ جُدَّةُ بندرًا الى الآن لمكّة المشرفة وهي على مرحلتَيْن طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب احداهما الليل كلّه في ايام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل وامّا الراكب الجيد والساعي على قدميه فيقطعهما في ليلة واحدة وما رايتُ من علمائنا من صرّح بجواز القصر فيهما بل رايت من ادركتُ من مشايخي الحنفيّة كانوا يكملون الصلوة فيهما وامّا انا فأرى لزوم القصر فيهما لان مُدَّة مسافة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كلّ مرحلة في اكثر من نصف النهار من اقصر الايام بسير الاثقال وهتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فازيده ثم رايتُ في مُوَطَّأ الامام مالك رضه حديثًا صحيحًا يدلُّ على صحّة ما جنحتُ اليه صورتُه عن مالك انه بلغه ان ابن عبّاس كان يَقْصُر الصلوة

فى مثل ما بين مكة والطايف وفى مثل ما بين مكة وعُسفان وفى مثل ما بين مكة وجُدّة انتهى ۞

ثم وقعت زيادة سيّدنا عبد الله بن الزّبير رضه وهو صحابى ابن صحابى ابوه احد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأُمّه اسماء بنت ابى بكر الصدّيق رضه ذات النطاقين وخالته عايشة الصديقيّة امّ المومنين رضى الله عنها وُلد بالمدينة الشريفة بعد عشرين شهرًا من هجرة النبىّ صلعم وهو اول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحًا شديدًا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يُولَدُ لهم ولدٌ وحَنّكه رسول الله صلعم بتمرة لاكها وسمّاه عبد الله وكنّاه ابا بكر باسم جدّه الصدّيق رضه ، وكان صوّامًا قوّامًا طويل الصلوة وَصُولًا للرّحِم عظيم الشجاعة قويًّا قسم الليالى على ثلاث فليلة يصلّى قايمًا الى الصُّبح وليلة يصلّى ويستمرّ راكعًا الى الصبح وليلة يصلى ويستمرّ ساجدًا الى الصبح روى عن النبىّ صلعم ثلاثة وثلاثين حديثًا وكان ممّن أَبَى البيعة ليزيد وفرّ الى مكة واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الّا اهل مصر والشام فانهم بايعوا ليزيد فلمّا هلك اطاع اهلهما عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلّب على مصر والشام الى ان ولى عبد الملك فجهّز جيشًا كثيفًا على ابن الزبير وامّر عليهم الحجّاج بن يوسف الثقفى فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فخرج ابن الزبير وَحْده وقاتل قتالًا عظيمًا الى ان استشهد رضه فى سنة ٧٣ من الهجرة وانشد فيه النّابغة الجَعْدِىُّ

حَكَمْتَ لنا الصِّدّيق لمّا ولينتنا ... وعثمان والفاروق فارتاح مُعْدِم

وسَوّيْتَ بين الناس بالحقّ فاستوى ... وعاد صباحًا حالِك اللون أَسْحَم

وكان لما حاصره الحصين بن نمير فى عسكر جهزه يزيد عليه التجأ بالمسجد الحرام فنصب عليه المناجيق واصاب بعض حجارته الكعبة الشريفة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض اخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير ان يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عم لما سمع من حديث عايشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلعم يا عايشة لولا انّ قومك حديثوا عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض وجعلت لها بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشًا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدى ان يبنوه فهلمّى لأريك ما تركوه فأراها قريبٌ من سبعة اذرع اخرجه الشّيخان فى صحيحيهما وفى رواية عن مسلم عن عطاء قل قال ابن الزبير انى سمعت عايشة رضى الله عنها تقول ان رسول الله صلعم قل لولا ان الناس حديثوا عهدهم بكفرٍ وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لنْتُ ادخلت فيه من الحجر خمسة اذرع انتهى فاستشار عبد الله بن الزبير من بقى من الصحابة رضهم فى ذلك فكلٌ منهم من أبقى ومنهم من وافقه على ذلك فصمّم واقدم على ذلك ولمّا اراد هدم البيت الشريف ليجدّد بناءه خرج اهل مكة من مكة خوفًا وتلكّأ العمّال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبدًا دقيق الساقين وعبيدًا له من الحبوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشىّ الذى قل فيه رسول الله صلعم يخرب الكعبة ذو السُّويْقَتَيْن من الحبشة قال الامام عبد الله بن أسعد اليافعىّ رحمه الله فى تاريخه مراة الجنان اراد عبد الله بن الزبير ان يجعل الطين الذى تُبنى به الكعبة من الورْس فقيل له انه لا يستمسك

به البُنيان كما يستمسك بالجصّ فارسل الى صَنْعاء اليمن طلب منها جصًّا نظيفًا محكمًا فأتوه به فبنى به الكعبة ٠ فلمّا اكمل هدمها كشف عن اساس ابراهيم عم فوجد الحِجْر داخلاً فى البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان ادار سترًا على فناء البيت فكان البُناة يبنون من ورآء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحِجْر فى البيت والْصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابًا غربيًّا فى مقابلة هذا الباب فخرج الناس منه كما كان عليه لمّا جدّدت قريش الكعبة قبل مبعث النبىّ صلعم وحضره النبىّ صلعم وعُمْرُه الشريف يومئذ خمس وعشرين سنة وكانت النفقة قَصُرَت بقريش لمّا بنوا الكعبة يومئذ فاخرجوا الحِجْر من البيت وجعلوا عليه حايطًا قصيرًا علامة على انه من الكعبة فازال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع واعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وبنى على قواعد ابراهيم عم ٠ وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة اذرع وزادت قريش تسعة اذرع فلمّا اكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعًا رَأَها عريضة لا طُولَ لها فزاد فى طولها تسعة اذرع فصار طولها فى السماء سبعة وعشرين ذراعًا ٠ ولمّا فرغ من بنائها طيّبها بالمسك والعنبر داخلاً وخارجًا من اعلاها الى اسفلها وكساها الديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت الشريف نحو من عشرة اذرع وكان فراغه من عمارة البيت الشريف فى سابع عشرين رجب سنة ٦٤ من الهجرة فخرج الى التَّنْعيم هو واهل مكة معتمرين شكر الله تعالى وذبح ماية بدنة وذبح كلّ واحد على قدر سعته وجعلوا ذلك اليوم عيدًا مشهودًا وبقيت هذه العمرة سُنّة عند اهل مكة الى اليوم يجتمعون للاعتمار فيه ولا يكادون يتخلّفون عن

العمرة فى هذا اليوم فى كلّ عام ويأتون من البرّ بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن اكثر واعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيّد قتادة بن ادريس بن مطاعن الحسنى جدّ سادتنا الاشراف ولاة مكة الآن ادام الله تعالى عزّهم وسعادتهم لما علم من امراء مكة يومئذ وهم طايفة أُخرى من بنى حسن يقال لهم الهَوَاشم الانهماك على اللّهو واللّذّات وكثرة الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرة القلوب عنهم وعدم توجّههم الى احوال البلد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفُرصة لاشتغال اهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بتجملاتهم الى التنعيم فهجم بعبيده وذويه ودخل مكة من اعلاها ومنع ولاتها السابقين من الدخول اليها وكانت مكة يومئذ مسوّرة وولاتها من بنى حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثر بن عيسى بن قُلَيْتة ففرّ بمن معه الى جهات اليمن وتمكّن السيّد قتادة من البلاد وذلك فى سنة ٩٩٥ واستمرّت الولاية فى ولده الى الآن والى من يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ۞

وفى سنة ٧٣ من الهجرة كتب الحجّاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له أن عبد الله بن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها واحدث فيها بابًا آخر فكتب اليه عبد الملك بن مروان ان يُعيدها على ما كانت عليه على عهد رسول الله صلعم فهدم الحجّاج من جانبها الشاميّ قدر ستة اذرع وشبرًا وبنى ذلك الجدر على اساس قريش وكبس ارضها بالحجارة لله فصلت ورفع الباب الشرقيّ وسدّ الباب الغربيّ وترك سايرها لم يغيّر منها شيئًا فهى الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع

الشامىّ بناء الحجّاج وهو ظاهر الانفصال عن بناء عبد الله بن الزبير ،
فلمّا فرغ الحجّاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحجّ فى ذلك
العام ومعه الحارث بن عبد الله بن ابى ربيعة المخزومىّ وهو من ثقات
الرُّواة فتحادثا فى امر الكعبة فقال عبد الملك ما اظنّ ان ابن الزبير سمع
من عايشة ما كان يزعم انه سمع منها فى امر الكعبة فقال الحارث انا
سمعتُ ذلك من عايشة رضىَ الله عنها تقول قال رسول الله صلعم ان قومك
استقصروا فى بناء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكفر اعدتُ فيه ما
تركوا منه واعدته على ما كان عليه فى زمن ابراهيم عم فان بدا لقومك
ان يبنوه فهلمّى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبًا من سبعة اذرع وقال
عم وجعلتُ لها بابَيْن موضوعَيْن على الارض بابًا شرقيًّا يدخل الناس منه
وبابًا غربيًّا يخرج الناس منه ، فقال عبد الملك انت سمعتَها تقول ذلك
قال نعم انا سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب فى يده منكتًا
ساعة طويلة ثم قال وددتُ والله انى تركتُ ابن الزبير وما تحمّل من
ذلك ، كذا ذكره النجم عمر بن فَهْد رحمه الله وقد ذكرنا ذلك جميعه
بالاستطراد لاشتماله على الفوايد المهمّة والحديث شجون ، رجعنا الى ما
نحن بصَدَده وذكر زيادة سيّدنا عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام
وسندنا المتقدّم ذكره مُتّصلًا مرفوعًا الى الامام ابى الوليد محمد بن عبد
الله بن احمد بن محمد الازرقى قال حدّثنى جدّى قال كان المسجد
الحرام مُحاطًا بجدار قصير غير مسقّف وكان الناس يجلسون حول الكعبة
بالغداة والعشى ينتظرون الأقْبِسَة فاذا قَلَصَ قامت المجالس ، قال
وحدّثنى جدّى قال حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم عن
عقبة عن ابيه قال زاد عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام فاشترى

دُورًا وادخلها الى المسجد وكان ممّا اشترى بعض دارنا يعنى دار جدّنا الأَزْرَق وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بنى شَيْبَةَ على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارًا كبيرة اشترى بعضها بضعة عشر الف دينار وادخله المسجد الحرام وكتب لنا الى اخيه مُصْعَب ابن الزبير بالعراق يدفعها الينا قال فركب رجال منّا الى العراق فوَجَدُوا مصعبًا يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيرًا حتى قُتل مصعبٌ فرجعوا الى مكة فصار ابن الزبير يَعِدُنا ويدافعنا حتى جاء الحجّاج بن يوسف وحاصره وقُتل ولم ناخُذْ منه شيئًا، قال وذكر جدّى انه سمع مشيخة اهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير سقّف المسجد غير انهم لا يدرون اكُلّه سقّفَ أَمْ بعضهُ، قال ثم عمّره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنّه رفع جدرانه وسقّفه بالساج وعمّره عمارة حسنة، قال وحدّثنى جدّى عن سُفْيان بن عُيَيْنة عن سعيد بن فروة عن ابيه قال كنتُ على عمل المسجد فى زمان عبد الملك بن مروان فامر ان يجعل فى راس كلّ اسطوانة خمسون مثقالاً من الذهب، قال وروى جدّى عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زادان بن فروخ قال مسجد الكوفة تسعة اجربة ومسجد مكة سبعة اجربة وذلك فى زمان عبد الله بن الزبير ۞

ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام، قال شيخ شيوخنا الحافظ السُّيُوطى رحمه الله تعالى كان الوليد جَبّارًا ظالمًا اخرج ابو نُعَيْم فى الحلية قال قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجّاج بالعراق وعثمان بن عُبادة بالحجاز وقُرّة بن يزيد بمصر امتلأت الارض جَوْرًا، قال الحافظ السيوطى لكنّه اقام بالجهاد فى ايّامه وفُتحت فى دولته الفتوحات

العظيمة ، قال الذهبيّ عاش في الجهاد في أيّامه وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيّام عمر بن الخطّاب رضه ، وقال ابن ابي عُبَيْدة وابن مسهل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبويّ وبنائه ، قال ابو الوليد الازرقي قال جدّي عمّر الوليد ابن عبد الملك المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكمًا وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو اوّل من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الاساطين صفايح الذهب وازّر المسجد بالرخام وجعل للمسجد سُرادقات ، قال الخجر عمر بن فهد رحمه الله بعث الوليد بن عبد الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسْري بستة وثلاثين الف دينار فضرب منها على بابي الكعبة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين لله في باطنها وعلى الاركان لله في جوفها ويقال ان الحلية لله حلّاها الوليد بن عبد الملك للكعبة لله ما كانت في مايدة سليمان بن داود من ذهب وفضّة وكانت قد احتملت من طُلَيْطلة من جزيرة الاندلس على بغل قويّ فتفسّخ تحتها وكانت بها اطواق من ياقوت وزبرجد والله اعلم ۞

## الباب الرابع

### في ذكر ما زاد العبّاسيّون في المسجد الحرام ،

لمّا انطوى بساط مُلْك بني مروان ، وآلَ الى الِ عبّاس الامرة والسلطان ، مزّقت بنو أُمَيّة كلّ ممزّق ، وشقّق الدهرُ حُلَلَ ايناسهم ومزّق ، وحرّق بنار البَأْس لباسهم وخرّق ، وكان رقص لهم الدهر وصفّق ، وكانت تغور امآلهم بَواسم ، وغُرَرُ أيّامهم بصُنوف اللّهو مَواسم ، ورياح عزّتهم في رياض غُرّتهم نَواسم ، وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ، وتجري على حسب